أحكام؛ المساواة فی نظر الإسلام

پدیدآورنده (ها) : احمد المومنی، ماجد

فلسفه و کلام :: نشریه الوعی الاسلامی :: السنة الخامسة و الثلاثون، ذوالحجة ۱۴۱۹ - العدد ۴۰۰

صفحات : از ۴۱ تا ۴۵

آدرس ثابت : https://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/1323689

تاریخ دانلود : ۱۴۰۲/۱۰/۱۸

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائهٔ مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

عناوين مشابه

- مكانة المرأة وحقوقها السياسيّة فى الإسلام من وجهة نظر الإمام الخمينى(ره)
- أحكام؛ الميراث فى الإسلام هل يقوم على أساس الأقربية أم على أساس الأحقية؟
- أحكام؛ فن الرسم و التصوير فى الإسلام ما له...و ما عليه
- احكام؛ التطبيق العلمى لمبدأ المساواة فى الإسلام
- تاريخ الإسلام فى نظر المستشرقين
- أحكام؛ رد الشبهات عن الإرث فى الإسلام
- وجهة نظر؛ الوسطية..عنوان فقه الحياة و رسالة التيسير فى الإسلام
- أخلاق الإسلام فى نظر الغربيين
- أحكام؛ صورة الإسلام فى الدراسات الأكاديمية الغربية
- أحكام؛ نظر الفقهاء فى زواج المسلم بالمرأة من أهل الكتاب

www.noormags.ir

المساواة في نظر الإسلام

بقلم : ماجد أحمد المومني

من عظمة الإسلام وحكيم شرائعه البالغة ان يجعل اساس التفاضل بين الناس لا على احسابهم وأنسابهم ولا على جاههم وجبروتهم، ولا على مواقع بلادهم واتساع ممالكهم ولا لونهم وصفاء بشرتهم،وانما التقوى والعمل الصالح هو أساس التفاضل بينهم. فالتقوى هي جماع الخير كله مصداقا لقوله تعالى:(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات/١٣.

وفي الحديث الصحيح قال ﷺ «يأيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» متفق عليه.

وبذلك تحققت طريقة التقويم لأي عمل وتحدد الميزان فكل عمل اقترب من خشية الله وخوفه كان هو اساس التفاضل بين الناس وبطلت جميع الموازين الأخرى التي قامت على الأهواء والشهوات، أو خالطتها الانحرافات وبطلت خرافات الشعوب المختارة والأجناس الآرية والتأثيرات البيئية أو التاريخية مصداقا لقوله تعالى:(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء) النساء/١.

وقوله تعالى: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)المؤمنون/٧١.

هذه هي المساواة في وحدة الاصل والنشأة وهذا هو التفاضل في التقوى والأعمال الصالحة وسأتناول مفهوم المساواة في الإسلام من خلال جوانب ثلاثة:

- المساواة في التكاليف والواجبات
- المساواة أمام القانون
- المساواة بين الرجل والمرأة مع بيان أن للرجال عليهن درجه.

أولاً : المساواة في التكاليف والواجبات

جاء الاسلام والمجتمع الجاهلي ينوء بالفوارق وبالنظرات الطبقية واللونية والأحساب والأنساب فلم يهادنها وأعلن من أول يوم المساواة بين الناس عبيدهم واسيادهم، حتى مشى السادة للرسول عليه الصلاة والسلام يطلبون إليه تمييزهم، وخطرت في نفس النبي أن يسمع لهم حتى يستعين بهم على امر ربه ورسالته فجاء الوحي من عند الله تعالى ونزل بقوله تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)الحجرات/١٣.

وحتى هؤلاء الزعماء لايمنون عليك أيها النبي بإسلامهم وإنما يمن الله عليم باسلامهم بأن هداهم الى سواء السبيل مصداقا لقوله تعالى: (يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) الحجرات/١٧.

وتجادل مرة الصحابي المعروف «أبو ذر الغفاري» مع أحد السود واشتط به الغضب فقال له: يابن السوداء!!

وسمع الرسول عليه الصلاة والسلام تلك الكلمة النابية فأنكرها أشد الانكار وقال لأبي ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ومما قاله « طفّ الصاع .. ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » رواه مسلم.

وكانت مجالس الرسول وندواته الصورة الاولى والمثلى لهذه المساواة وتنزل التكاليف الالهية فيخاطبون بها جميعاً رجالهم ونساؤهم، صغارهم وكبارهم أسيادهم ورعاياهم. فلما فرضت الصلاة كان المسجد الصورة المثالية لهذه المساواة يقصدونه زرافات ووحدانا يلبون النداء الخالد الذي يذكرهم بالمساواة الحقة ألا كبير سوى الله وألا عظيم سوى الله.. وبمقدار سبق أحدهم إلى السعي الى الصلاة يكون مكانه في المسجد فيقفون صفوفاً متراصة كأنهم بنيان مرصوص، يقتدون بإمامهم المصطفى محمد وخلفائه من بعده تعنوا وجوههم لله وحده خالق الكون واللون والحسب والنسب ويبتغون مرضاته.. تحيتهم بينهم سلام.

وكانت فريضة الحج صورة عالية رائعة لمعنى المساواة المثلى يقصد المسلمون البيت الحرام على اختلاف اماكنهم وبلدانهم وأجناسهم وألوانهم ولغاتهم بثياب ولباس موحد لافرق بين غني وفقير ولاراع أو سيد ويقفون بأماكن واحدة ويطوفون حول البيت العظيم بقلوب خاشعة وأعين دامعة مصداقاً لقوله تعالى:(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)الانفال/٢.

وهكذا مضت تكاليف الاسلام تخاطب الجميع فأي واحد اجتمعت فيه شروط نصاب الزكاة عليه أداء مافرض عليه من زكاة وان تطوع فهو خير. مصداقاً لقوله تعالى:(إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم)الحديد/١٨.

وقوله تعالى:(سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه

www.noormags.ir

من يشاء والله ذو الفضل العظيم)الحديد/٢١ والذي اصبح قادراً على الصوم يصوم شهر رمضان بتمامه وكماله مصداقاً لقوله تعالى:(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياما معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) البقرة/١٨٣-١٨٥.

والصلاة فريضة يومية على الجميع أداؤها خمس مرات في اليوم مصداقا لقوله تعالى:(والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون) المعارج/٣٤و٣٥.

وقوله تعالى: (والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم) المعارج/٢٤و٢٥.

وقوله تعالى في وصف المؤمنين : (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) التوبة/١١٢.

وقوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة/٧١.

وهذه المساواة في التكاليف والواجبات الربانية بأركان الاسلام الخمس وأركان الايمان الست هي سواء للرجل والمرأة فلم يختص واحداً منهم دون الآخر وحتى في الجزاء ثوابا او عقابا مصداقا لقوله تعالى:(وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) التوبة/٧٢.

ثانيا : المساواة أمام القانون الرباني

لا تنضبط تلك المساواة العامة في التكاليف ولاتصبح حقيقة ملموسة وشريعة متبعة إلا اذا تساوى الناس امام القانون الإلهي والشريعة الاسلامية وإلا لزم من في قلوبهم حب التمييز ورغبة الاستعلاء مكانهم لايعدونه. وهذا مافعله الاسلام ونبى الاسلام وخلفاؤه وصحابته وأتباعه من بعده.

شرع الاسلام الحلال والحرام ووضع المعايير الصحيحة للعقود والمعاملات وبين الحدود والعقوبات وطالب المسلمين الاحتكام اليها وإقامتها بالعدل والقسطاس وألا يتوانوا ويماروا أو يحابوا في تنفيذها فهي أمانة في أعناقهم تضمن أمن الأمة وسلامتها ورخاءها وطمأنينتها وعدلها واستقرارها.

ومن هنا وجدنا النبي ﷺ والخلفاء من بعده والتابعين لدينه وملته الى يوم الدين يحرصون أشد الحرص على تنفيذ القانون الإلهي على الجميع سواء في ذلك السوقة أم السادة الاغنياء والفقراء.. الرجال والنساء.. ولعمري ماختل بنيان أمة إلا من التفرقة أمام القانون حتى ولو كان هذا القانون وضعيا من صنع البشر فكيف أمام القانون الإلهي!! وماضاعت مهابة القانون واحترامه بين المسلمين إلا باستباحة حدوده واختراق تعاليمه باستثناءات يرضاها الحكام والقضاء.

سرقت امرأة من بني مخزوم في عهد الرسول وثبت عليها حد السرقة واهتمت قريش بالأمر، فرأوا أن يتشفعوا لها عند الرسول بأسامة بن زيد لمكانته عند رسول الله فقد كان له ولأبيه مكانة خاصة عند الرسول لاستشهاده في معركة مؤتة. فلما تحدث اسامه بهذا الموضوع غضب ﷺ غضباً شديداً وانتهره مستنكراً اتشفع في حد من حدود الله!! ثم قام في المسلمين خطيباً « ... إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد .. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » حديث صحيح متفق عليه.

وبهذا القول الحاسم ثبتت قاعدة المساواة العامة بين الناس «كلكم امام شريعة الله سواء» واليك حادثة اخرى تدل على عظمة هذه الشريعة وحرصها على المساواة :

كان جبلة بن الأيهم أميراً تتوافر له شارة السيادة في الجاهلية والاسلام وكان أول عمره نصرانيا ثم اسلم، عرض له يوما وهو يطوف بالكعبة أن زاحمه أعرابي من العامة وداس ثوبه غير قاصد فاستشاط الامير غيظاً ولطم الاعرابي على وجهه ورفعت الى عمر بن الخطاب ـ الخليفة العادل ـ القضية فحكم بالقصاص إلا أن يعفو الاعرابي فقال جبلة مستنكراً كيف وهو سوقة وأنا ملك ؟ فقال عمر بن الخطاب قولته الحاسمة « إن الاسلام سوى بينكما ».

وطلب الامير الغاضب مهلة يراجع فيها نفسه فر اثناءها إلى أرض الرومان راجعاً إلى النصرانية مرتداً عن الاسلام والمرتد عن الاسلام عقوبته الاعدام ترك أرض المساواة والايمان ليرجع الى كفره وجبروته وطغيانه.

قال تعالى : (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)النساء/٦٥.

والمجتمع الذي يربيه القرآن مجتمع قوي في جميع النواحي المعنوية منها والمادية فهو قوي بترابطه وتماسكه مصداقاً لقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) آل عمران/١٠٣.

وقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران/١٠٤.

وقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران/١١٠

وقوله تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) البقرة/٤٥.

والمساواة تعني تحقيق العدالة .. ومن أعدل من الله!! تبارك الله

www.noormags.ir

العظيم بعد له ورحمته وقدرته مصداقاً لقوله تعالى: (إن الله لايظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)يونس/٤٤.

وقد طالب الله عباده بالعدل بقوله تعالى: (اعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة/٨

وقوله تعالى: (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) المائدة١٥/١٦.

هذه هي سماحة الإسلام وعدله ومساواته بين البشر جميعاً.

ثالثا: المساواة بين الرجل والمرأة

كرم الإسلام المرأة وجعلها مساوية للرجل في الحقوق والواجبات ولم يفرق بينهما إلا فيما تقتضيه طبيعة كل منهما ومهمة كل منهما في الحياة.

فقد خلصها من نظرة العار والمهانة التي كانت مصاحبة لها في الجاهلية وحرم وأدها حية مصداقا لقوله تعالى:(وإذا الموؤدة سئلت. بأي ذنب قتلت» التكوير/٨-٩ وخلصها من النظرة القاتمة واللعنة التي ألصقتها بها الكنيسة واعتبرتها شيطاناً من أراد الطهر فليتجنبها وخلصها ايضا من نقص في حق التملك والتصرف فيما تملك وحق الارث وجعلها شقيقة الرجل في وحدة الأصل مصداقا لقوله تعالى:(ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) النساء/١.

وجعلها سكن الرجل وطمأنينته مصداقاً لقوله تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم/٢١.

وساوى بينها في الحقوق والواجبات وفي الجزاء ثواباً كان أو عقاباً وجعل نهاية كل منهما واحدة هي الموت ثم البعث والحساب والجزاء العادل إما الجنة أو النار مصداقاً لقوله تعالى: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) آل عمران/١٩٥.

وقرر الاسلام لها حقها في التعليم والعمل والسعي والكسب الحلال بقوله تعالى:(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما) النساء/٣٢.

وقرر لها حق الميراث بعد ان كانت محرومة من ذلك بقوله تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) النساء/٧ على حين لم تسمح لها حضارة الغرب بذلك إلا في أوائل القرن العشرين ولتنظيم هذا الباب من المساواة لابد من الحديث إلى العناوين التالية :

أ - الأسرة هي الأساس

ب - قمة المساواة تتجلى في الثواب والعقاب

جـ - ولهن مثل الذي عليهن

د - وللرجال عليهن درجة

أ- الأسرة هي الأساس

وتبقى الاسرة ـ التي قوامها المرأة ـ هي الأساس باعتبارها الأم المربية والمدبرة لبيتها وأبنائها وراعية لزوجها في ماله وأولاده وعرضه.

الاسرة هي إحدى الركائز الأساسية في النظام الاجتماعي والتربوي والتشريعي والاقتصادي والانساني والتاريخي في نظر الاسلام.

لكن الاسرة تعرضت في بعض حقب التاريخ المعاصر للنيل منها باسم المذاهب والافكار احياناً وتبني بعض الانظمة القديمة والجديدة الدخيلة على الاسلام بوجوه مختلفة تارة باسم الديموقراطية وأخرى باسم المشاركة وثالثة باسم حقوق المرأة ورابعة باسم مساواتها مع الرجل وخامسة باسم التعددية .. والحرية والإباحية ونصف المجتمع وتعابير ماأنزل الله بها من سلطان.

ومع ان الاسلام قد ضمن لها كل مايتناسب مع طبيعتها ووضعها كأنثى فتعرضت الاسرة والمرأة اليوم لبعض الثغرات والوهن في جوانبها المختلفة في ربوع بلادنا.. فبهرتها حضارة الغرب من انقياد الى التبرج والترهل والابتذال والجري وراء الموضة واللباس والتزين والتبرج مما خدش حياءها وأهان كرامتها فأصبحت سلعة لترويج سوق الغرب من مستهلكات وكماليات فلانكاد نرى إعلاناً أو دعاية إلا وقد حشروا فاتنة الجمال في ترويج كمالياتهم وسلعهم وأصبحت المرأة غرضاً لسهام الحاقدين والمخربين الذين يتحركون تحت مظلة الغزو الفكري الاجنبي المستورد مع ان الآيات الكريمة قد أوضحت مكانتها بتفكير منطقي يقبله العقل- ومن أحسن من الله قولا؟ تعالى الله عما يصفون وقاتلهم أنى يؤفكون ..

قال تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم.) النساء/٣٤.

وقوله تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) البقرة/٢٢٨. ومثل هذه المبادىء المستوردة بعيدة عن مبادىء الاسلام السمحة بنواياها الخبيثة وأهدافها الفاسدة والتي يحاول اصحابها نشرها عبر قنوات الفضاء الحديثة وسائر وسائل إعلامهم المسمومة.. حتى تجرأت نائبة أردنية على القناة الفضائية القطرية بأن تجاهر ان القرآن نزل في وقت الجاهلية ولم تعد أحكامه مناسبة لتطور العصر والتكنولوجيا مع ان اول آياته حثت على العلم والمعرفه مصداقاً لقوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم)العلق/١-٥.

وماجاء به يواكب أحدث النظريات العلمية الصادقة والثابتة والتي اجريت بأساليب موضوعية علمية منها تطور الجنين مصداقا لقوله تعالى: (يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين

www.noormags.ir

لكم ونقر في الأرحام مانشاء إلى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) الحج/٥.

لذلك قصدت التنويه بمكانة الأسرة والتذكير بأهمية دور المرأة في أي أسرة ومسؤوليتها والتحذير مما يخدشها تحقيقا لقوله تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) الذاريات/٥٥.

ينطلق مفهوم الاسرة في الإسلام في تأسيس الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة ومايتفرع عنها من النسب والمصاهرة لتشمل الوالدين والأولاد والآباء والأمهات وقد تتوسع حلقتها لتتناول الاخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات وقد تطلق أحياناً على المجتمع بأكمله باعتباره أسرة واحدة كبيرة ولكن المراد في هذا البحث هو المفهوم الأول للأسرة مع مايتعلق به ويحوطه من آثار بالمعنى الواسع له.

إن الاسرة هي النظام الفطري للإنسان تلتقي مع طبعه الذي خلق فيه وجبلته التي فطر عليها لأن الانسان اجتماعي بطبعه والاسرة هي الخطوة الاولى والصورة المصغرة للمجتمع البشري وتعطي النموذج القويم للحياة الانسانية على وجه المعمورة.

وهذا ماأكده القرآن الكريم في قوله تعالى : (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) النساء/١

والمراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام وزوجه التي خلقت منه هي حواء خلقها الله من ضلعه الأيسر فلما رأها اعجبته فآنس اليها وآنست اليه وكان ذلك سنة الله تعالى فيما بين الرجل والمرأة إلى يوم القيامة.

لذلك تعتبر الاسرة النظام الانساني الأول في تقدير علماء الاجتماع والتاريخ ومن وظائفها استمرار النوع والمحافظة عليه، و الاسرة وجدت منذ وجد الانسان الاول والدليل عليه النص الصريح السابق في الآية الكريمة وأن القرآن الكريم ذكر المراحل الأولى لخلق آدم وحواء في الجنة ونزولهما إلى الأرض وبناء الاسرة الأولى فقال تعالى: (وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما) البقرة/٣٥.

وستبقى الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع والنواة المركزية للأمة والأساس الرصين واللبنة الاساسية لإقامة الدولة لأن مجموع الأسر يكون المجتمع والأمة والدولة، وكلما كانت الأسرة قوية وسليمة وصحيحة كانت الأمة والمجتمع والدولة قوية وسليمة وصحيحة.

والأسرة هي الدعامة لكل ذلك وتحتل مكان القلب في جسم الأمة فإذا صلحت وقويت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع وإذا ضاعت أو تفككت أو انهارت أدى ذلك إلى ضياع المجتمع وتفكك الأمة وانهيار الدولة.

والاسرة هي الحصن الذي يوفر الانسجام في حياة الافراد ويربط الأمة بماضيها ويحدد خط السير القويم المتواصل للمستقبل ويقيم السور المنيع للحفاظ على القيم والمبادىء وتترعرع فيه الاخلاق الفاضلة التي تنبت عند الافراد من صدور أمهاتهم وتنمو في محيط أسرهم وتزدهر في مجتمعاتهم. كما تزود الأسرة أعضاءها بالاشباع لعدد من الحاجات الإنسانية الجسمية والاجتماعية والعاطفية والروحية والأخلاقية والنفسية كالحنان والعطف والحب والألفة والرعاية والاستقرار والتكافل الاجتماعي وتحقيق الامن الداخلي وما إلى ذلك.

ويكفي ان نقول ان في الاسرة التي عمادها الأم يشرب الطفل مبادئه وأخلاقه وعقائده ولغته فمنها يكتسب اللغة والعقيدة والفضيلة هذا إن كانت الأم فاضلة أما إن كانت خلاف ذلك فإن الفساد يظهر في البر والبحر مبتدئاً بالأفراد ثم الاسرة ثم المجتمع ثم الدولة مصداقاً لقوله تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم/٤١.

ليتهم يرجعون للمرأة كرامتها ويحفظون لها عفتها وشرفها بعيداً عن الابتذال والترجل والترهل لتعود لها أنوثتها رحمة لنا لاسوطاً يثير جماح شهواتنا ويبعدنا عن ديننا وعقائدنا.

ب ـ قمة المساواة تتجلى في الثواب والعقاب

لقد ساوى الله بين المرأة والرجل في الجزاء ثواباً كان أو عقاباً مصداقاً لقوله تعالى:(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة/٧-٨

وقوله تعالى :(الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه). البينة/٧-٨.

هذا خطاب واضح من الله سبحانه وتعالى يشمل الرجل والمرأة ثواباً كان أو عقاباً.. بل إنهما شريكان في المسؤولية عندما أزلهما الشيطان واخرجهما من الجنات العلا مصداقا لقوله تعالى:(ويآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماووري من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين.

وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الاعراف/١٩-٢٣.

الشراكة في المسؤولية واضحة تمام الوضوح في الخطاب الرباني في القرآن الكريم لآدم وحواء فلما أزلهما الشيطان طلبا الرحمة من الله تعالى فنزلت عقوبة الله عليهما معاً وسواء مصداقا لقوله تعالى: (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين) الأعراف/٢٤.

فكانت عقوبة الله بإنزالهما سواء آدم وحواء في الجنة إلى الأرض وألقو العدواة بين الإنسان والشيطان إلى يوم القيامة وكلمة الانسان تشمل الذكور الاناث مصداقاً لقوله تعالى : (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني

www.noormags.ir

أعمى وقد كنت بصيراً .قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)طه/١٢٤-١٢٦.

وأحكام هذه الآيات مطلقة على الرجال والنساء سواء.

جـ - ولهن مثل الذي عليهن

وتتجلى عظمة الخالق وعدله المطلق الذي لايساويه عدل.. ولايناله في طلب وإن حرص فبين لنا الله تعالى قواعد المساواة بين الرجل والمرأة في حدود رسمها الخالق وهذه الحدود منطقية وعقلية مصداقاً لقوله تعالى:(وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) النساء.١٩.

وأكد ذلك رسول الله ﷺ فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع وإن اعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقومه كسرته وإن تركته لم يزل أعوجاً فاستوصوا بالنساء خيراً» رواه البخاري ومسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لايفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» رواه الترمذي أي لايبغضها بغضاً يؤدي إلى تركها لانه إن وجد فيها خلة وصفة يكرهها، وجد فيها سلوكا مرضيا وميزة مرغوبة وهو مايتفق مع الواقع الملموس. وقال عليه الصلاة والسلام «خياركم خياركم لنسائهم» رواه ابن ماجه.

وقرر القرآن الكريم أن العلاقة الفطرية بين الرجل والمرأة تقوم على التكامل والأنس والسكن فقال تعالى:(هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) الأعراف/١٨٩. أي ليألفها ويطمئن اليها ولايوجد ألفة بين زوجين اعظم مما بين الزوجين مصداقاً لقوله تعالى:(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم/٢١.

فكان من حكمة الله ورحمته أن خلق الزوجين من جنس واحد ليتم التآلف بينهما وفطر بينهما المودة والمحبة والرأفة والرحمة ليتعلق الرجل بالمرأة ويمسك بها وترتبط المرأة بزوجها وتحرص عليه مصداقاً لقوله تعالى:(هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) البقرة/١٨٧.

أي أن كلا من الزوجين يحتفظ صاحبه ويدفع عنه الأذى ويصونه ويحميه من المؤثرات والمضار ويمنحه السعادة ويتبادل معه المسرة والعيشة المشتركة وتحقيق الآمال الواحدة معه.

د - وللرجال عليهن درجة

وهذه الدرجة هي فقط في توزيع المسؤوليات ..أما الحقوق والواجبات فلكل على الآخر حقوق وواجبات بينتها الشريعة الاسلامية. ويقوم نظام الاسرة على توزيع الاختصاصات بين الرجل والمرأة بما يتفق مع الفطرة والطبائع الانسانية لكل منهما.

فالأب يتولى رئاسة الاسرة والاشراف العام ومسؤولية الانفاق المالي على افراد اسرته وتتولى المرأة رئاسة البيت ومسؤولية التربية والحفاظ على أموال الاسرة ونفقاتها.. الزوجة الصالحة هي التي تحفظ لزوجها ماله وعرضه وأبناءه. مصداقاً لقوله تعالى:(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) البقرة/٢٢٨ وهي درجة القوامة أي مسؤولية الإنفاق على الاسرة وقيادة الاسرة مصداقاً لقوله تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا في أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) النساء/٣٤. وذلك لتوافر الخبرة والمعرفة العامة بالحياة مع القدرة والكفاءة ولالتزام الرجل بالأعباء والكفاءة ولالتزامه بالأعباء المالية ابتداءً من دفع المهر ونفقات الزواج وانتهاءً بكلفة الإنفاق على جميع أفراد أسرته.

وقد قابل الله هذه الدرجة التي منحها للرجل بدرجة مقابلة منحها للأم في الاحترام والطاعة لما تعانيه من عناء الحمل وآلام الولادة والتجلد على الرضاعة والتربية قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرها ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الاحقاف/١٥. وقال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير)لقمان/١٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال ﷺ : «أمك قال : ثم من ؟قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك .. قال : ثم من ؟ قال أبوك » رواه البخاري ومسلم.

حتى في العلاقة الزوجية لمن كان في عصمته اكثر من زوجة بيّن لنا الله هذه العلاقة (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيما) النساء/١٢٩. ■

المراجع:

- أصول الدين الإسلامي، أ. د. قحطان الدوري جامعة ال البيت
- بنية التفكير الديني/ أ. د. عادل العوار جامعة دمشق
- العلم والثقافة الانسانية، أ. د. عبد الكريم اليامني/ جامعة دمشق.
- فقه السيرة، أ. د. محمد الغزالي / الجامعة الاسلامية / المدينة المنورة
- المرأة في القرآن الكريم، أ. عباس محمود العقاد
- الحضارة الإسلامية، أ. د. عفت الشرقاوي / جامعة الاسكندرية
- معالم الشريعة، فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري / معهد الدراسات الاسلامية
- المدخل في الفقه الاسلامي، أ. د. محمد مصطفى شلبي/ جامعة الاسكندرية.

المصادر:

- القرآن الكريم
- السنة النبوية الشريفة كما وردت بالصحيحين

www.noormags.ir